محاذير في طلب العلم

محاضرة مفرغة

د. عبدالله الشريكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد،

فأرحب بكم جميعاً إخوتي في الله في هذا المجلس الذي أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعله مجلسا خالصا لوجهه الكريم، نافعاً للمتكلم والسامعين، وأسأله سبحانه أن يجعلنا جميعاً ممن قال فيهم النبي ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الملائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(١). وأسأله جل في علاه أن يعيننا على قلوبنا وأنفسنا، وأن يخرج منها كل ما لم يرد به وجهه سبحانه وتعالى .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأشكر الأخوة الأفاضل القائمين على هـذا المـشروع الطيـب على هذه الجهود المباركة، وأسأل الله أن يثقل موازين حسناتهم يـوم لقائه.

إخواني في الله، ما من عبادة مـن العبـادات إلا ولهـا شروط لا تصحُ إلا بها، بل وهناك شرطٌ من الـشروط إذا اختـل كانـت هـذه العبادة سبباً لهلاكِ صـاحبها! يتعبـد الله سـبحانه وتعـالى، ويطيـل القيام والاجتهاد والقنوت، ولكن هذا كله حجة عليه يوم القيامة، وسببٌ من أسباب هلاكه ودخوله نار جهنم – عافانا الله.

كم من صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائمٍ ليس له من قيامه إلا السهر والتعـب، وكـم مـن كـريمٍ جـواد متصدق ومنفق وهو من أوائل من تسعر بهم نار جهنم، وكـم مـن مجاهدٍ يقاتل في سبيل الله فيما يظنه الناس وهو ممن تسعر به جهنم.

وطلب العلم من أعظم العبادات، وفضله لا يخفـى علـيكم، ولكنه في الوقت نفسه قد يكون سبباً لهلاك صاحبه ودخولـه النـار قبل عبّاد الأوثان، وذلك إذا اختل عنده شرط الإخلاص.

ومن المهم لطالب العلم أن يعرفَ كيف يسلك الطريق السليم

لحصول العلم، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: «لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها، معتبرة بها»(١).

فعلى من أراد أن يبلغ ذلك المقصد أن يتعلم الطريق الذي يوصله إليه، فإن مَنْ أراد أن يذهب إلى مكة عليه أن يختار أحسن الطرق، وأأمنها ، وأقربها، وأيسرها، ولن يكون ذلك متحصلاً له إلا إذا تعلم هذه الطرق .

وهكذا العلم له طرق جاءت في كتاب الله، وجاءت في سنة النبي ﷺ، ونبه عليها أهل العلم رحمهم الله، منها مثلاً قول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ**»(٢).

ومنها ما جاء في كتاب الله تبارك وتعالى كقوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩] . جاء في تفسير هذه الآية أن الربانيين هم الذين يعلمون الناس صغار مسائل العلم قبل كبارها، بمعنى أنهم

(١) إعلام الموقعين (٣/ ١٦٤).
(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه (٥/ ٢٠١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة»(٣٤٢).

يدربون الناس في طلب العلم وفي التحصيل.

ومن أشهر الطرق كذلك: سؤال أهل العلم، قال جل ذكره: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

أما المحاذير التي يجب على طلاب العلم الحذر من الوقوع فيها فهي إما أن تكون محاذير محرمةً يجب اجتنابها، وإما أن تكون مكروهةً يستحب اجتنابها .

وقد بيَّن النبي ﷺ هذه المحاذير كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ**»(١) . هذا لفظ كعب بن مالك رضي الله عنه، ولفظ جابر رضي الله عنه: «**لا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ**»(٢).

هل يدخل النار بسبب طلبه للعلم والله عز وجل يقول: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]،

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٢٦٥٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٨٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٥٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٧٠).

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]؟

الجواب: نعم، وذلك إذا طلبه لغير الله تبارك وتعالى، إما مجارةً للعلماء، أو لمماراة السفهاء، أو ليصرف وجوه الناس إليه ويتصدر في المجالس، أو طلب حظ من حظوظ الدنيا كمنصب أو مال أو شهادة أو غيره، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١). يعني ريحها.

ومن المحاذير: أن يطلب العلم لأجل ثناء الناس عليه؛ فقد ذكر النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أول من تُسعر بهم نار جهنم والعياذ بالله، وذكر منهم: «**وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٨)،وأبو داود في سننه (٣٦٦٤)،وابن ماجه في سننه (٢٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٥٩).

لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ». نسأل الله العافية.

وجاء في بعض الروايات أن أبا هريرة رضي الله عنه حين أراد أن يحدث بهذا الحديث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول، ثم أغشي عليه حتى أفاق، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول، ثم أغشي عليه رضي الله عنه ثم أفاق، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول، ثم أغشي عليه في المرة الثالثة، ثم أفاق فروى الحديث، وجاء فيه أن أول من تسعر بهم النار هم أولئك الثلاثة [١].

إن طلب العلم شأنه عظيم، وفضله كبير جدّاً، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: «العلم أفضل الأعمال لمن صَحَّتْ نيته»[٢]، وقال أيضاً: «العلم لا يعدله شيء»[٣]. ويجب على طالب العلم أن ينوي بهذا الطلب رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، وأن ينوي كذلك العمل بالعلم؛ لأن من أعظم المحاذير ترك العمل بالعلم . وترك العمل بالعلم تارةً يكون كفراً، وتارةً يكون معصية كبيرةً أو

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٢٣٨٢)،وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٢) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٨٠)، و«غذاء الألباب» (٢/ ٤٠٧).
(٣) انظر: «الآداب الشرعية» (٢/ ٣٦)، و«غذاء الألباب» (٢/ ٤٠٧).

صغيرةً، وقد يكون مكروهاً . فمن تعلم التوحيد وترك العمل به بأن عمل بما يضاده فقد وقع في الكفر والشرك والعياذ بالله . ومن تعلم واجباً من الواجبات ثم ترك العمل بهذا الواجب فقد وقع في معصية. ومن تعلم مستحبّاً من المستحبات فترَكه فإنَّ ترْكه له مكروه.

ومن المحاذير: إعجاب المرء بنفسه، بعد أن يمن الله سبحانه عليه بالعلم يبدأ يرى أنه أفضل من غيره؛ لأنه تعلم أو صار الناس يشيرون إليه بالبنان ويصدرونه في المجالس، وغالباً ما يقترن العجب بالكبر، فيبدأ يتكبر على إخوانه المسلمين .

والناس منهم من يتكبر لجاهه ومنصبه أو ماله بل وبمعصية اشتهر بها، لكن أن يتكبر بطاعة فعلها لله فهذا أشد وأعظم . قال مطرف رحمه الله: «لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً»(١). وهذا لأن المعصية التي تعقب ندماً خير من الطاعة التي تعقب تكبراً .

فعلى طالب العلم أن يتذكر أن كل مسألة تعلمها فإنها من فضل الله عليه وتوفيقه، وأن هناك من الطلاب من يحمل من العلم

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٠٠).

أكثر منه، وعليه أن يتذكر قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦] .

وكذلك قد يكون من يحتقرهم ويتكبر عليهم ليس عنده علم أو عنده علم أقل من علمه، لكن قد يكون أولئك أفضل منه عند الله جل وعلا وأعظم منزلةً، فقد يكون عندهم من الصدق مع الله والإخلاص والخضوع ما يجعله لو أقسم على الله لأبره . كان أحد السلف إذا خرج من المسجد قبض بيمينه على شماله حتى لا تنافق يداه، أي حتى لا يرائي في مشيته!! فعلينا أن تتعلم العلم لنتواضع، ومن تواضع لله رفعه، وكلما ازددت علماً ازددت تواضعاً لله تبارك وتعالى . وقد كان النبي ﷺ وهو أعلم الناس، وأفضلهم، وأشدهم تواضعاً لله جل وعلا.

يقول سفيان الثوري رحمه الله: «زينوا أنفسكم بالعلم ولا تزينوا به»(١).

وإخلاص النية في طلب العلم تحتاج إلى مجاهدة، ولكن يغفل عنها بعض طلاب العلم.

---

(١) انظر : «ربيع الأبرار» (١/ ٣٢٥).

ومن المحاذير: الحسد، داء الأمم السابقة، الداء الذي أمرنا الله جل وعلا أن نستعيذ به سبحانه منه، وليس لصاحبه علاج إلا الاستعاذة بالله منه .

ويذكر أهل العلم أن الله تبارك وتعالى قال في الكفار: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[الأنفال:٦٠]، وحينما ذكر الحاسد قال جل ذكره: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ [الفلق:٥]؛ وذلك أن الحاسد ليس له علاج إلا الاستعاذة بالله من شر حسده.

ووقوع الحسد بين طلاب العلم أمر مؤسف، ويحزننا أن نرى من الطلاب من يحسد أخاه لأنه أشد منه حرصاً ومواظبةً، أو على عناية المشايخ به، أو على دقة فهمه، ويتمنى زوال هذه النعم من إخوانه.

ومن علامات الحسد كذلك: الفرح بوقوع إخوانه في الخطأ وفي التقصير في الطلب، كأن يحرص أحد الطلاب على الحضور إلى مجلس العلم مبكراً فيتأخر في أحد المجالس فيفرح بهذا التأخر.

والمدرس الحاذق قد يستطيع أن يعالج التحاسد بين طلاب

العلم، وقد يفشل؛ لأن الحسد مما تؤزه الشياطين أزّاً.

والحسد يأكل الحسنات، وهو من أعظم أسباب محق البركة، والحاسد عنده نقص في إيمانه؛ لأن النبي ﷺ قد قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١)، والحاسد لا يحب لإخوانه ما يحبه لنفسه، بل يتمنى زوال النعم عنهم، نسأل الله العافية.

ومن المحاذير أيضاً: الانشغال بالمسائل الخلافية والصورية، فيتتبع الطالب هذه المسائل وينشغل بها حتى إذا أُثيرت إحدى تلك المسائل في مجلس كان ملمّاً بها من جميع جوانبها، بينما هناك مسائل عديدة أهم منها ومع ذلك يجهلها!! وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة له بعنوان: «قاعدة فيما للعبد فيه محبة» على أن العبد أحياناً يفعل بعض العبادات ليس تعبداً لله جل وعلا، وإنما يفعلها لأنه يحب هذه العبادات.

خذ مثلاً: الجهاد، النبي ﷺ سئل عن الرجل يقاتل حمية أو شجاعة أو ليُرى مكانه، فهم يحبون القتال لأجل تلك الأمور.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

وكذلك بعض طلاب العلم يتعلمون بعض المسائل حبّاً لها، تجده غارقاً في تخريج حديث واحد لأنه يحب تخريج الأحاديث وهو جاهل في مسائل كثيرة أهم من التخريج.

ومن المحاذير: عدم السؤال عما يشكل، بعض الطلاب تحصل له إشكالات في بعض المسائل فيتركها دون أن يسأل عنها، وهذا خطأ يفوته بسببه علم كثير.

ومن المحاذير أيضاً: تضييع الأوقات في المجالس والرحلات، وقد قيل قديماً: من كانت بداياته محرقةً كانت نهاياته مشرقةً . فإذا بدأ بدايةً قويّةً في الطلب وجد فيما بعد الإشراق في حياته.

ومن المحاذير: احتقار العلماء والاستهانة بعلمهم ودروسهم، وهذا خلل لا يقع فيه إلا من لم يعرف قدر العلماء، وقد قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ**»[1]. ولو لم يكن للعلماء من الفضل إلا أنهم ورثة الأنبياء لكفى ، فكيف وقد اجتمع لهم من الفضل الشيء الكثير حتى ادّعاه من ليس منهم.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٢٣)،والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١١) من حيث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٤٣).

ومن المحاذير: التصدر قبل التأهل، وقديماً قيل: من تصدر وهو صغير حُرم خيراً كثيراً . فعلى ماذا تستعجل طالب العلم؟ أعلى تحمل المسؤولية وعظمها عند الله عز وجل؟ أم على كثرة الأخطاء التي ستقع منه عند التدريس والإفتاء؟ فلم العجلة؟ فلنجتهد في حفظ كتاب الله تبارك وتعالى، والتعلم والقراءة، ولا نجتهد للتمشيخ .

ومن المحاذير: أن يبدأ الطالب بالكتب المطولة والمسائل الكبيرة، وهذا خطأ كبير جدّاً، قد يكون سبباً في انتكاسة الطالب وتركه للتحصيل، وكما قيل: طعام الكبار سمٌّ للصغار.

فالتدرج مسلك الربانيين، كما قال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] : «هم الذين يعلمون الناس صغار العلم قبل كباره». وكما أن التدرج في طلب العلم مسلك الربانيين، فإن إهمال التدرج مسلك المتعجلين الذين لا أرضاً قطعوا، ولا ظهراً أبقوا.

ومن المحاذير كذلك: تقديم ما يستحب تعلمه على ما يجب تعلمه، فالتوحيد واجب تعلمه، وواجب تقديمه على بقية العلوم.

وتعلم ما تصح بـه العبـادة، وتعلـم الـصلاة والـصيام والزكـاة إن كانت الزكاة واجبةً عليه، وهكذا. أما أن يتعلم مثلاً الفـرائض قبـل هذه العلوم فهذا لا شك أنه من عدم التدرج السليم في طلب العلم.

ومن المحاذير: **الفوضوية في طلب العلم**، أي أن يـسير طالـب العلم في تحصيله على طريق الفوضى، يتذوق ويتنقل بـين الكتـب، اليوم يقرأ في كتاب وغداً يقرأ في كتاب آخـر، واليـوم يحـضر عنـد شـيخ وبعـده يتركـه ويحـضر عنـد شـيخ آخـر دون منهجيـة في التحصيل، وليس له رؤية واضـحة يـسير عليهـا كـما هـي طريقـة العلماء، فتمر عليه السنوات ولم يحصل من العلم إلا الشيء اليسير.

وبعضهم يقطع شوطاً في قراءة كتاب، ثم يسمع أحد المـشايخ يثني على كتاب آخر فيترك الكتاب الذي بدأ فيه، وهذا خطأ. وربما يكون الكتاب الذي ذكره الشيخ كتاباً متقدماً يحتاج إلى قراءة كتـب كثيرة قبله.

وبعض الطلبة يفسد على إخوانه من حيث لا يشعر، فإذا وجد أخاه يقرأ في كتاب قال له: لا بد أن تبدأ أوّلاً بكتاب كذا ثـم كـذا. وقد يكـون الترتيـب الـذي ذكـره صـحيحاً، لكـن هـذا الطالـب تحصلت له فرصة القراءة في كتاب آخر عـلى شـيخ ثقـة ولا يـضره

عدم التزامه بذلك الترتيب، كمن لا يبدأ بدراسة الأصول الثلاثة وإن كنت أوصي كما أوصى المشايخ بالبدء بدراسة تلك الأصول، لكن لو وجد أحد المشايخ السلفيين يشرح كتاب التوحيد فلا بأس أن يتعلم ويقرأ كتاب التوحيد قبل الأصول الثلاثة.

ومن المحاذير: أخذ العلم عن غير أهله، فيأخذه إما من أهل البدع، وإما من المتعالمين وما أكثرهم.

يقول ابن سيرين رحمه الله: «إن هذا العلم دِينٌ فانظروا عمَّنْ تأخذون دينكم»(١). والله سبحانه يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣].

وقد تلا النبي ﷺ قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ** ﴾ [آل عمران:٧]، ثم قال: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»(٢). أي لا تستمع لهم واجتنبهم، اجتنب مجالسهم ومصنفاتهم. لَمْ يقل النبي ﷺ: استمعوا لهم

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، باب بيان أن الإسناد من الدين.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

وخذوا الحق الذي عندهم واتركوا ما عندهم من الباطل، بل أمر بأخذ الحذر والحيطة لأنهم أسباب وقوع الناس في المهالك.

وقد كثر هؤلاء في هذا الزمن، وهو ما أخبر بوقوعه نبينا ﷺ حيث قال: «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**» . قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»(١).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه سيكون آخر الزمان: «**دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**» . ووصفهم فقال: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**»(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٩١)،وابن ماجه في سننه واللفظ له (٤٠٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٥٠).

(٢) متفق عليه من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٧٨)،وأبو داود في سننه (٤٢٥٢)،والترمذي في جامعه (٢٢٢٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه ،وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٣).

وما أكثر هؤلاء اليوم، وهم ممن يضربون الشريعة من أصولها، ويشككون في المسلّمات والثوابت، حتى ادَّعى بعضهم أن النقاب عادةٌ وليس عبادةً مخالفاً بهذا الادعاء إجماع علماء المسلمين على مشروعية النقاب . ويخرج بعضهم على القنوات الفضائية ويقال عنه: داعية، ويتكلم عن سنة النبي ﷺ وهو لا يطبق شيئاً من سنته عليه الصلاة والسلام، وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[1].

فهم رؤوس معروفة يعرفها الناس في الصحف والقنوات الفضائية ومواقع الإنترنت، بل تُعرف أكثر من معرفة العلماء الربانيين . وإذا كان الإنسان إذا أكل أو شرب شيئاً فاسداً أفسد عليه بطنه، فكذلك إذا سمع أو قرأ شيئاً فاسداً فسيُفسد عليه دينه وعقله.

فكن على حذر أيها الأخ الكريم، وخذ اللبن المصفى من أهله، من ينابيعه الصافية التي أخبر عليه الصلاة والسلام أنها

(١) متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

ستبقى إلى يوم القيامة كما قال: «**لَا يَزَالُ نَـاسٌ مِـنْ أُمَّتِـي ظَـاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**»(١). وفي رواية : «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»(٢).

وهذه الطائفة هي التي وصفها النبـي ﷺ بقولـه: «**يَـرِثُ هَـذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَـالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ**»(٣). وهذا من رحمة الله عز وجل بهـذه الأمة.

واعلم أخي الكريم أن العلماء قسمان:

- **علماء سـنة وهـدى**، وهـم الـذين تُنَزَّل عليـهم النـصوص الشرعية في بيان مكانة العلماء، والأمر بتوقيرهم وسؤالهم.

- **وعلماء ضلالة**، وهم الدعاة على أبواب جهنم، الذين حـذر منهم النبي ﷺ.

(١) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٩) من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العَذْرِي رضي الله عنه، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٤٨).

وعلماء الضلالة لهم علامات يُعرفون بها، ومن أهمها: تقديم عقولهم على النصوص الشرعية، فالميزان عندهم العقل، وإذا جاءهم دليل من القرآن أو السنة يشع منه نور الهداية حاولوا طمس هذا النور، وأنّى لهم؟! حتى وصل الحال ببعضهم أنه أصبح يقيم استفتاءات وتصويتاً على أحكام شرعية، فيقول: ما رأيكم في حد الردة؟ وما رأيكم في تحريم الخمر؟ لو كانت المسألة بالتصويت لرجحت كفة التثليث على التوحيد، ولرجحت عقائد الصلب والفداء والتجسيد على عقيدة التنزيه وإثبات الكمال المطلق لله تبارك وتعالى؛ لأن أَتباع الديانات الباطلة أكثر من المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[الأنعام: ١١٦]، فهؤلاء يجب الحذر والتحذير منهم.

أما المتعالمون فقد كثروا كثرةً عجيبةً، وهم داخلون في قول النبي ﷺ: «**اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**». وكثير من هؤلاء ينتسبون إلى الدعوة السلفية ويدَّعون أنهم يَدْعُون إلى منهج السلف ويحاربون أهل البدع، وقد يحصل بطريقة أو بأخرى على تزكية من بعض أهل العلم، والعلماء

غير معصومين . وتجد هذا المتعالم لو طرح مسألةً وسُئل عمَّن قال بهذا القول يحاول أن ينتزع من أهل العلم الفتاوى التي تؤيد طرحه ورأيه.

والمتعالم له علامات منها: كثرة تخطئة العلماء، وكثرة الجدال في الدين، والإتيان بتقسيمات جديدة لمسائل شرعية.

هذه بعض المحاذير، وتركت غيرها خشية الإطالة.

والله تعالى أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.